

جينيا لوجيا التنظيمات الإرهابية بالجزائر: من الحركة الإسلامية إلى العنف المسلح

The terrorist organisations genealogy in Algeria: From an Islamist movement to armed violence

د. رذوان بوهيدل

كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية – جامعة الجزائر 3 Bouhidel.redouane@univ-alger3.dz

تاريخ الإستلام: 2021 / 10 / 17 تاريخ القبول: 2021 / 12 / 08 تاريخ النشر: 2021 / 12 / 30

ملخص

تتطرق الدراسة إلى التطورات الجينولوجية التي شهدتها التنظيمات الإرهابية في الجزائر منذ بداية التسعينات، بشكل مفرط في النشاط والانتشار والفاعلية، وذلك بالرجوع إلى الخلفيات الإيديولوجية والتنظيمية و لهيكلية، وحتى الديناميكية في التموقع و النشاط و التوزيع الجغرافي، مع التركيز على أهم التحالفات والانقسامات التي شهدتها مختلف التنظيمات في الجزائر، وقبلها مختلف أطراف الحركة الإسلامية، والتي كانت النواة الأولى لكل ما حدث لاحقا.

تعرض الدراسة أيضا مختلف التحولات الكبرى، من منافسة و صراع و تحالفات والانشقاقات، التي شهدتها مختلف التنظيمات الإرهابية في الجزائر، و التي أدت لاحقا إلى تشكل أهم تنظيم إرهابي عرفته الجزائر، و المنطقة ككل، وهو تنظيم "القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي"، الذي اضطر لتغيير موقعه الجغرافي نحو الجنوب.

الكلمات المفتاحية: الإرهاب؛ الجزائر؛ التنظيمات الإرهابية؛ الجماعة السلفية للدعوة والقتال؛ القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي.

Abstract

The study looks into the genealogical development seen and witnessed by terrorist organisations in Algeria in the early nineties, in terms of excessive activity, spread and Effectiveness in reference to ideological, organizational and structural background, even the dynamicity

in relocation, activity and geographical placement. Focusing on the most important alliances and break ups witnessed by these various terrorist organisations in Algeria and ahead of that in a various spectra of the Islamic movement that was the core of events that followed later .

In addition the study presents the various significant transformations in the likes of infighting, conflicts, alliances and raptures in these various terrorist organisations in Algeria, which led later to the formation of the most notorious terrorist organisation in Algeria and the region, what's known as "Al-Qaeda in the Islamic Maghreb" whom relocated geographically to the south.

Keywords: Algeria ; Terrorism ; Al-Qaeda in the Islamic Maghreb ; Terrorist organizations ; The Salafist Group for Preaching and Combat.

1. مقدمة

إن البحث في الظاهرة الإرهابية في أي منطقة من العالم، يقودنا بالضرورة إلى العودة إلى تاريخ وجذور الإرهاب ككل في المنطقة محل الدراسة، مع الإحاطة الكاملة بأهم التحولات التي شهدتها أهم التنظيمات الإرهابية، بداية من النشأة، مروراً بمختلف المراحل التي ساعدت في تطور التنظيمات والظاهرة، مروراً بأهم المراحل، التنظيمية والهيكلية، وصولاً إلى أهم الاستراتيجيات المتبعة من طرف هذه التنظيمات الإرهابية ونشاطها.

لا يمكن معرفة ديناميكية التنظيمات الإرهابية في الجزائر، أو الظاهرة الإرهابية في شكلها الحالي اليوم، دون البحث في الأصول الأولى لتشكّل أولى الحركات الإسلامية والظروف السياسية والجيوسياسية التي رافقتها، والتحولات الاستراتيجية التي ميّزتها وتميّزها، محلياً، إقليمياً ودولياً.

إن الهدف من عرض جينياولوجيا التنظيمات الإرهابية في الجزائر، بالرجوع إلى الأصول والجذور الأولى لهذه التنظيمات اليوم، والتي في الحقيقة، لم تكن سوى نتيجة لتحالفات وانقسامات ومنافسة، ما بين الحركة الإسلامية التي عرفتها الجزائر، أين يمكن القول أن العامل المسبب للظاهرة الإرهابية في الجزائر، يكمن في الانتقال من النشاط بالشمال نحو الجنوب، وهذا بدوره راجع لعدد من الأسباب، أهمها محاولة تدويل نشاط هذه التنظيمات الإرهابية، بالإضافة إلى تضيق الخناق عليها في شمال الجزائر، مع مرور الوقت، مما اضطرها للبحث عن فضاءات جغرافية أخرى لنشاطها الإرهابي، وبذلك اللجوء إلى مناطق جديدة (الجنوب)، كانت سبباً في استمرارية وتواجد النشاط الإرهابي.

يمكن تقسيم مراحل التطور الجينياولوجي للإرهاب في الجزائر إلى ثلاثة مراحل أساسية، بالموازاة مع الانتقال من الإرهاب المحلي إلى الإرهاب الدولي بالمنطقة، وجغرافياً، من الشمال إلى الجنوب، وتمثل هذه المراحل في التطور من الحركة الإسلامية إلى العمل المسلح، ثم مرحلة ظهور "الجماعة السلفية للدعوة والقتال" وأولى العمليات الإرهابية الدولية، قبل الوصول إلى الظروف التي أدت إلى نشأة ما صار يعرف لاحقاً باسم "القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي".

عرفت التنظيمات الإرهابية التي نشطت بالجزائر، تحولاً استراتيجياً كبيراً، بعد أحداث 09/11، عندما انتقلت من الإرهاب المحلي إلى الإرهاب الدولي أو الإرهاب العابر للأوطان، وفي هذا الإطار، تجدر بنا إعادة التذكير بتعريف كل من الإرهاب المحلي والإرهاب الدولي، قبل إسقاطهما على نشاط الجماعات الإرهابية في الجزائر.

يُعرّف الإرهاب المحلي بأنه "الإرهاب الذي تتم ممارسته داخل الدولة، بحيث يكون المشاركون والضحايا من نفس الدولة، ويكون الإعداد والتخطيط والمشاركون في الفعل الإرهابي داخل حدود الدولة، ولا يكون هناك دعم للفعل الإرهابي من الخارج"، ويهدف هذا النوع من الإرهاب إلى قلب نظام الحكم من خلال الرعب للشعب كله. (الصالح 2002، ص 41).

يهدف العنف المنظم الذي تمارسه الجماعات الإرهابية المحلية، إلى تحقيق أهداف سياسية يمكن حصرها في "تغيير نظام الحكم أو فرض سياسات ذات ملامح معينة أو الحصول على امتيازات خاصة لفئة أو طائفة أو طبقة، أو الحصول على الحكم الذاتي لإقليم معين، كل هذه الأهداف تجعل الإرهاب محلياً ما لم تتدخل في ذلك عوامل خارجية". (الهوراري 2002، ص 36).

أما الإرهاب الدولي، فهو "نوع من العنف غير المبرر وغير المشروع بالمقاييس الأخلاقية والقانونية، والذي يتخطى الحدود السياسية للدول، كما تنتج عن ممارسته ردود فعل دولية قد يتسع مداها وتأثيرها، وغالبا ما تكون الجماعات التي تمارسه غير حكومية، لكنها قد تتلقى التشجيع المادي الخارجي من الأفراد أو الجماعات أو الحكومات. (صبري 1993، 1994، ص 637).

من خلال ما سبق يمكن طرح تساؤل مركزي مفاده: ما هي خلفيات نشأة وتطور مختلف التنظيمات الإرهابية في الجزائر، قبل أن تصبح تنظيما واحدا ؟

هذا التساؤل المركزي يطرح عدد من الفرضيات التي ننطلق منها وهي:

1. تطرف الحركة الإسلامية في الجزائر أدى إلى العنف المسلح.
 2. التنظيمات الإرهابية التي عرفتها الجزائر هي نتيجة حتمية
 3. تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي هو امتداد لـ"الجماعة السلفية للدعوة والقتال"
- وللإجابة على التساؤل المركزي، وجب علينا الاعتماد على المنهج التاريخي لأهميته في فهم الماضي، وأهم السياقات السياسية المحيطة بالأحداث، سواء على المستوى المحلي، الإقليمي أو حتى الدولي، بالاعتماد في نفس الوقت على المقاربة الجيوسياسية، والتي من خلالها نربط بين الظاهرة الإرهابية بالجغرافيا التي تتمركز بها و إبراز وظيفتها، مع التركيز على ديناميكية التطور في التنظيمات وجغرافيتها في وقت واحد، دون إغفال عنصر مهم تقوم عليه المقاربة الجيوسياسية، وهو إبراز أهم الفواعل في الفضاء الجغرافي، و العلاقة البيئية، مهما كانت، سواء تحالفات، صراعات أو منافسة.

أولا: من الحركة الإسلامية إلى العمل المسلح

تعود الجذور الأولى للظاهرة الإرهابية في الجزائر إلى التداعيات التي أعقبت نشأة مختلف الحركات الإسلامية، التي منذ الاستقلال في عام 1962، والتي تعتبر النواة الأولى، لكل الجماعات الإرهابية التي تواجدت بالجزائر، لاسيما ما بعد التسعينات من القرن الماضي، والتي كان لها تأثير كبير في بروز الظاهرة الإرهابية بمنطقة الساحل الأفريقي أو بالمنطقة المغاربية ككل، وهو ما يدفعنا للقول أن الحركة الإسلامية الجزائرية، بمختلف تشكيلاتها، كانت مصدراً لمعظم التنظيمات الإرهابية بالجزائر والمنطقة ككل.

تعتبر التنظيمات الإرهابية المتمركزة اليوم بالساحل الأفريقي امتداد لعدد من الحركات الإسلامية المغاربية عامة، والجزائرية خاصة، وهو ما نلاحظه من خلال التركيبة البشرية، الفكرية والتنظيمية لأهم هذه الجماعات اليوم بالمنطقة، وعلى رأسها ما يسمى بـ"القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي"، والتي تعتبر امتداداً جينالوجياً للتحويلات العديدة التي شهدتها الحركة الإسلامية، منذ نهاية السبعينات من القرن الماضي، قبل أن تعرف قفزة نوعية في التسعينات، وصولاً إلى شكلها اليوم، والذي لا زال يعرف حركية تنظيمية وهيكلية واستراتيجية، مع الثبات في الإيديولوجية، وإن تغيرت جغرافيتها. (عمود 1993، ص 188).

كانت أولى بوادر ظهور الحركات الإسلامية في الجزائر، في شكلها المنظم، عبر عدد من الجمعيات ذات الطابع الإسلامي المناهض للتوجه الاشتراكي، الذي تبنته الدولة الجزائرية آنذاك، كانت أولها، "جمعية القيم"، والتي تأسست في عام 1963، تحت رئاسة "الهاشمي تيجاني"، الذي ربطته علاقات وطيدة مع حركة الإخوان المسلمين المصرية، لكن سرعان ما تم حلها في 1966، مع محاولة تعويضها من خلال تأسيس جمعية "أنصار الله"، والتي تم حلها هي الأخرى، من طرف السلطات آنذاك. (وقازي 2015، ص 19).

خلال السبعينات من القرن الماضي، انتشرت ظاهرة الحركات الإسلامية، لاسيما في الجامعات الجزائرية، أين بدأت الدعوة إلى التغيير تأخذ لهجة أكثر تشدداً وعنفاً ضد النظام الحاكم، ومن بين أهم الحركات الإسلامية المناهضة للنظام السياسي الجزائري، "حركة الدعوة والتبليغ"، التي تأسست في جامعة قسنطينة، بقيادة "العبداوي سلام"، حيث عرفت نفس المرحلة إقامة معسكرات تدريب في الغابات والشواطئ المعزولة، وكذا تنظيم عدد من الرحلات لأعضاء هذه الحركات إلى أفغانستان عبر باكستان، ومصر وليبيا والسودان والمملكة العربية السعودية، والتي أشرفت عليها في ذلك الوقت جمعية "الدعوة والإرشاد". (وقازي 2015، ص 19).

تطور الحركة الإسلامية وصل إلى حدّ المطالبة بالتغيير عن طريق العنف، أو ما أطلق عليه في أدبيات الخطاب الدعائي آنذاك بـ"الجهاد"، وكانت أولى هذه الحركات قد تأسست في 1974، وكان يقودها "أحمد بوعمره"، المدعو "أحمد الباكستاني"، وكانت هذه الحركة، وراء خروج عدد من الإسلاميين إلى الشارع في عدد من المدن الجزائرية، عام 1976، رافضين مقترح الرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين، المتعلق بالدستور الجديد (دستور 1976)، حيث طالبوا بإلغائه لأنه يكرس مبادئ الاشتراكية على مبادئ الدين الإسلامي، مما وضع هذه الجماعات في أولى المواجهات العلنية مع السلطات الجزائرية، والتي ساهم نظام الحزب الواحد آنذاك في التعطيم على القضية إعلامياً، حيث وصفت هذه الحركات بـ"جماعة أشرار". (الطويل 1998، ص ص 18-13).

مع نهاية السبعينات، وتحديدًا في عام 1979، شهدت الساحة السياسية الجزائرية والدولية عدة تحولات، أولها وفاة الرئيس هواري بومدين، والذي كان رافضاً لكل أنواع النشاط الإسلامي بالجزائر، أما على الصعيد الدولي فقد شهد العالم في نفس السنة (1979) قلب نظام الحكم في إيران، ووصول جماعة من الإسلاميين إلى السلطة، مما شجع بعض الخلايا الإسلامية النائمة في المنطقة المغاربية بشكل خاص، البحث عن التغيير بشتى الوسائل، بهدف تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية - حسيمة -، وقد قاد الحركة الإسلامية في مرحلة ما بعد بومدين، "مصطفى بويعللي" ونائبه العائد من السعودية، "أحمد مزاح"، المنتسب بالأفكار السلفية، حيث كانت البداية في مارس 1980، عندما بدأت بعض الحركات الإسلامية بإقامة تجمع شهري أمام مقر الجامعة المركزية بالعاصمة، حتى عام 1982، أين شهدت الجزائر مواجهات عنيفة بين الإسلاميين ومصالح الأمن، أدت إلى مقتل البعض و اعتقال البعض الآخر، تبعته عملية إطلاق نار على دركي بأحد الجواجز بالعاصمة، وتوزيع منشورات تحرض على ضرورة "الجهاد" ضد نظام الحكم في نوفمبر 1982، (عز الدين 1994-1995، ص 56) كما قامت هذه الجماعات بتوزيع أشرطة صوتية لقائدها، "مصطفى بويعللي"، يدعو فيها لـ"الجهاد" وضرورة انضمام بعض الحركات الإسلامية الأخرى إليه، حيث تمكن من استقطاب عدد منهم، لاسيما من الغرب الجزائري، ثم الشرق، قبل أن تقوم مصالح الأمن بالقبض على 14 عضواً من هذه الجماعات، كانت تقوم بتوزيع منشور يحمل عنوان "بيان التعريف"، ليتم الكشف عن مخططات باغتيال رئيس الوزراء آنذاك "محمد بن أحمد عبد الغني"، بالإضافة إلى مخطط لاختطاف أحد قادة الحزب الحاكم في ذلك الوقت (حزب جبهة التحرير الوطني)، "محمد الشريف مساعدي". (بن الهاشمي 1992، ص ص 129-130)

مرحلة أخرى، كانت دافعاً ومحفزاً جديداً، لصالح نشاط الحركة الإسلامية في الجزائر، وهي اجتياح السوفييت لأفغانستان، مما أدى إلى تعاطف شعبي، استغلته هذه الحركات للدعوة إلى "الجهاد" في أفغانستان، ضد السوفييت، وهو ما لقي قبولاً شعبي كبير، حيث تمّ استغلال هذه الظروف لإعطاء الطابع الدولي للحركة الإسلامية الجزائرية، من خلال التنديد بالتدخل الروسي، والتهديد بالقتل للسوفييت

التواجدين بالجزائر، وذلك في حال عدم مغادرة الجزائر نحو بلادهم، مع إعطائهم مهلة شهر، بالإضافة إلى التهديد المباشر بضرب السفارة الروسية بالجزائر. (مقدم 2002، ص ص 15-18).

في هذه الأثناء، عرفت الأفكار السلفية رواجاً في المناطق المجاورة، سواء في الدول المغاربية أو دول الساحل الأفريقي، من خلال المعهد السعودي الذي افتتح بموريتانيا في 1979، والذي بدأ ينشر الفكر السلفي الوهابي، حيث استقطب المئات من الطلبة الموريتانيين والأفارقة، خاصة من دول غرب أفريقيا، قبل أن يقوم الرئيس السابق لموريتانيا معاوية، عام 2003، بغلق المعهد مهتما القائمين عليه بنشر ثقافة التشدد والغلو، التي ينادي بها التيار الوهابي، وهي نفس المرحلة التي شهدت صراعاً بين حكومة نواكشوط والحركة الإسلامية الموريتانية. (Wieviorka 1988, p 95).

أما جنوباً، وفي نفس الفترة التي تشهد بروزاً للحركة الإسلامية، برزت في النيجر ونيجيريا، حركة "إزالة البدع وإقامة السنة"، والتي كانت تعرف اختصاراً بـ"إزالة"، التي تأسست في 1978، من طرف الشيخ إسماعيل إدريس، في نيجيريا، وهي حركة ذات مرجعية سلفية، تهدف -حسبهم- إلى "تطهير العقيدة"، مما تعتبره شهادات شرك، كالتبرك بالأضرحة وبالأولياء الصالحين، وغير ذلك من تقاليد أتباع الطرق الصوفية القادرية والتيجانية في الساحل الأفريقي، بالإضافة إلى عدد كبير من الحركات الإسلامية الممثلة في عدد من الجمعيات بشكل خاص، مثل "جماعة تعاون المسلمين" التي ظهرت في 1994، المكونة من عدد من طلبة الثانويات العربية و الإنجليزية، بالإضافة إلى خريجي عدد من الجامعات، والذين تمكنوا لاحقاً من تأسيس "مركز القدس الإسلامي للإعلام" في 2005، وجماعة "نصر الإسلام"، التي ظهرت خلال الستينات من القرن الماضي، أين اتخذت من مدينة "كادونا" في شمال البلاد مقراً لها، حيث ضمت عدد من المثقفين والعلماء وموظفي الدولة والقضاة، أسسها "أحمد بيلو" الذي قتل في 1970، قبل أن تعيد تنظيم نفسها في 1974، حيث تمكنت من توحيد عدد من الجماعات والجمعيات الإسلامية ليؤسسوا "الشؤون الإسلامية"، وجمعية "أنصار الدين"، الأقدم بالمنطقة، حيث تأسست فيلا 1923، بالعاصمة لاجوس، والتي تضم بالأخص مسلحي قبائل "اليوروبا"، وتنضوي تحت غطاءها ما يزيد عن 100 مدرسة ومعهد، كما ظهرت في المنطقة النيجيرية عدداً من الجمعيات ذات الطابع الإسلامي، والتي كانت نواة ما يعرف اليوم بجماعة بوكو حرام الإرهابية، على غرار جمعية المؤتمر الإسلامي، جمعية الطلبة المسلمين، جمعية التضامن الإسلامي، جماعة الأمة، جمعية "تاسفات"، جمعية "فتح قريب" المنبثقة عن هذه الأخيرة، والجماعة الإسلامية الشيعية المسلحة (2016 www.assakina.com).

لكن هذه الحركة انقسمت إلى حركة "إحياء السنة"، تحت قيادة "أبو بكر إبراهيم"، وحركة "الكتاب السنة" بقيادة "ساني دان تودو"، لكن الحركتين السلفيتين الجديدتين كانتا متفتحتين على محاربة كل أشكال التصوف في إفريقيا.

في الجزائر، كانت الحركة الإسلامية في تلك الأثناء تضم ثلاثة (3) تيارات رئيسية، وهي جماعة "الإخوان الدوليين"، التي قادها الشيخ محفوظ نحناح، وجماعة "الإخوان المحليين" بقيادة الشيخ "عبد الله جاب الله"، وجماعة "الطلبة"، أو ما كان يعرف بجماعة مسجد الجامعة المركزية (أتباع مالك بن نبي)، والتي قادهم الدكتور "محمد بوجلخة" ثم الشيخ "محمد السعيد" (الطويل، 1998، ص ص 16-17).

في 12 نوفمبر 1982، قام عدد من الإسلاميين بالاجتماع وتوجيه نداء، يضم 14 بنداً، دعوا من خلاله الحكومة الجزائرية، بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية، والاعتماد على الاقتصاد الإسلامي، ورفض الاختلاط في مؤسسات الدولة، ونددوا بتعيين العنصر النسوي في بعض المناصب، لاسيما في القضاء، كما طالبوا بطرد من أسموهم بـ"أعداء الدين"، الذين يتبوؤون مناصب عليا، وقد أمضى على النداء، كل من "أحمد سحنون" و "عبد اللطيف سلطاني" و "عباسي مداني" (الطويل 1998، ص 59).

على صعيد آخر، انتقل ما بين 2000 و 4000 جزائري، من الجزائر ومن مغربي فرنسا، بمساعدة ما كان يعرف بمكتب الإخوان المسلمين في الجزائر¹، الذي قام بإرسالهم بالتنسيق مع الفلسطيني "عبد الله عزام"، إلى مدينة نيس الفرنسية، والتي كان بها أحد أكبر المكاتب الممثل للإخوان في أوروبا، وكان بمثابة مركز عبور لتدريب الجزائريين وغيرهم للالتحاق بأفغانستان، كما ساهمت الظروف الاجتماعية والاقتصادية على عملية الهجرة إلى أفغانستان، لاسيما في ظل سماح السلطات لهم بالقيام بذلك، من خلال عدم منعهم أو حتى عدم عقابهم في حال العودة. (مقدم 2002، ص ص 39-41).

بعد وصول الجزائريين إلى أفغانستان، وبداية "جهادهم" ضد السوفييت، تمّ تقسيمهم على ثلاثة جماعات، وهي "الحزب الإسلامي" (غلب الدين حكمتيار)، و"الاتحاد الإسلامي" (عبد رب الرسول سياتق) و"الجمعية الإسلامية" (أحمد شاه مسعود)، التي كانت تضم أكبر عدد من الجزائريين الملتحقين بأفغانستان، بمساهمة الفلسطيني "عبد الله عزام"، لدرجة أنه صاهر أحد الجزائريين الأفغان². وقد انضم الجزائريون إلى "الجماعة الإسلامية المسلحة" في بيشاور، ضمن ما يسمى بـ"بيت المجاهدين". (مقدم 2002، ص ص 19-22).

بعد نهاية الحرب الأفغانية السوفياتية في عام 1989، وجد الجزائريون أنفسهم وسط خلاف بين الحزب الإسلامي بقيادة "حكمتيار" والجمعية الإسلامية، التي كان يقودها عند نهاية الحرب "برهان الدين رباني"، مما اضطرهم للعودة إلى الجزائر بأعداد كبيرة، عبر الحدود الليبية والمغربية، وحتى عبر الصحراء الكبرى، مروراً بالساحل الأفريقي، وهو أول احتكاك بهذا الفضاء المتأزم أصلاً، أين كانوا متشبعين بالأفكار الجهادية، حيث ساعدت التحولات السياسية التي عرفتها الجزائر في نفس السنة (دستور 1989) هؤلاء، في ممارسة نشاطهم السياسي بشكل علني وشرعي، بعد إقرار التعددية السياسية في الجزائر، حيث انضم العائدون من أفغانستان بأعداد كبيرة إلى حزب "الجهة الإسلامية للإنقاذ" (المحلّ اليوم) (عز الدين 1994-1995، ص ص 55-58).

خلال منتصف الثمانينات، قامت حركة "بوعلي" بعدد من العمليات المسلحة، وذلك ضد بعض الهيئات العمومية، كان أهمها الهجوم على مدرسة الشرطة بالصومعة، قبل أن يتم مقتله عام 1987، بعد كمين لقوات الأمن الجزائري، أثناء عملية لنقل الأسلحة، مع عدد من مرافقيه (زكريا 1993، ص ص 20-21).

وقد كان لمقتل "مصطفى بوعلي" تأثير على نشاط حركته المسلحة، والتي عرفت ركوداً شبه تام، إلا أن العناصر التي نشطت معه كانت من بين أهم مؤسسي ما عرف فيما بعد بـ"الجناح العسكري" للجهة الإسلامية للإنقاذ (المحلة)، هذه الأخيرة، التي تأسست من خلال لقاء وطني، جمع من الشرق الجزائري "سعيد قشي"، ومن الغرب محمد كرار، أما منطقة الوسط فكانت ممثلة في كل من "عباسي مداني" و"علي بلحاج" و"الهاشي سحنوني" (TOUATI 1995, Pp 62-67).

عرفت الجزائر بشكل خاص، على عكس تونس و المغرب، ظهور عدد من التنظيمات الإسلامية، معظمها كان ينادي بالتغيير عن طريق القوة، حيث ظهر أول تنظيم تكفيري، في عام 1990، وهو "يوم الحساب"، مكوّن من عدد كبير من الجزائريين العائدين من أفغانستان، حيث قاموا بأول عملية إرهابية، بمنطقة قمار، بمدينة الوادي الصحراوية، ضد ثكنة للجيش الجزائري، تمّ من خلالها قتل عدد من العساكر والاستيلاء على كمية من الأسلحة، حيث قاد العملية "عيسى مسعودي"، المكنى بـ"الطيب الأفغاني"، في نوفمبر 1991، في وقت قام "أصمين جبرين"، المدعو "كمال"، بتكوين جماعة "الهجرة والتكفير"، والتي كانت تقوم

¹ كان ممثلاً في الشيخ نوح رحمه الله، و الشيخ عثمان، قائد الحركة الإسلامية في الغرب (سيدي بلعباس) بالإضافة إلى المدعو كرار.

² زوج عبد الله عزام إحدى بناته لزوجته بونوة، المدعو عبد الله أنس أحد قادة الحركة الإسلامية المسلحة في الجزائر لاحقاً.

بالتحريض ضد النظام الحاكم من خلال بعض الدروس والحلقات في عدد من المساجد (الطويل 1998، ص 91-92)، وهو من قام بعد ذلك بتأسيس ما يسمى بـ"الجناح العسكري للجهة الإسلامية للإنقاذ" (مسعد 2001، ص ص 246-248).

إن أول من قام بخلق ضرورة للاتجاه إلى العمل المسلح ضد النظام الحاكم، هم "عبد القادر شبوطي" و"السعيد مخلوفي" و"عز الدين باعة"، الذين أسسوا "حركة الدولة الإسلامية" في مارس 1992.

من المراحل المهمة أيضا، في تكوين الظاهرة الإرهابية في شكلها الأخير، هو فتح المجال للنشاط السياسي لكل هذه الحركات، من خلال مشروع الانتخابات المقدم من طرف حكومة "مولود حمروش" في ماي 1991، أين بدأ بالموازاة مع ذلك تفكير بعض الحركات الإسلامية في مواجهة مسلحة ضد النظام الحاكم، مما أدى إلى العصيان المدني في 1991 وظهور عدد من التنظيمات الإسلامية المسلحة، أهمها "حركة الدولة الإسلامية" بقيادة "عبد القادر شبوطي" في 1992، والتي تميّزت باستقطاب عدد كبير من العسكريين السابقين أو حتى الفارين من الجيش الجزائري، حيث قاد التنظيم بعد مقتل "شبوطي" في 1992، "السعيد مخلوفي"، كما قام "قمر الدين خربان"، وهو أحد العسكريين السابقين في الجيش الجزائري، بتأسيس جماعة مسلحة أخرى هي "الباقون على العهد"، قبل أن تتحد مع "الحركة الإسلامية المسلحة" لتكوين أحد أهم التنظيمات الإرهابية في تاريخ الجزائر، وهي "الجماعة الإسلامية المسلحة" (الجييا) (GIA)، قبل عودة "الباقون على العهد"، في منتصف التسعينات بقيادة وأفراد جدد، على غرار "عبد الرحمن أوجميل"، الذي دخل في تحالفات مع "منصوري الملياني" و"محمد علال" و"الطيب الأفغاني" (الشيخ 1994، ص ص 15-18).

مع ذلك، بقي نشاط هذه الجماعات المسلحة سريا ومحدودا، حيث كانت تنظم معسكرات تدريب، لاسيما في زيامة المنصورية بجيجل، واستعراضات للقوة في شوارع كبرى المدن، باللباس الأفغاني خاصة، بشكل أسبوعي تقريبا، في عمليات استفزازية لقوات الأمن والسلطات الجزائرية.

الخروج إلى العلن جاء بعد إلغاء السلطات الجزائرية لانتخابات جانفي 1992، الذي فازت به "الجهة الإسلامية للإنقاذ" المحلّة لاحقا، في الانتخابات التشريعية بنسبة 82%، مما أدى إلى إعلان "الجهاد" ضد النظام الحاكم، وهو ما أدى إلى تفاقم عدد من التنظيمات المسلحة، المنبثقة أساسا من العناصر التي كانت تحت لواء "الجهة الإسلامية للإنقاذ" المحلّة، والتي التحق عدد كبير من أعضائها بالجبال، تحضيرا لبداية ما أسموه بـ"الحرب" على النظام، حيث تشكلت لجنّتين، الأولى "اللجنة العسكرية للشرق" والثانية "اللجنة العسكرية للغرب"، والتي كانت تضم ما يقارب 7000 عنصر، قبل التوحّد في 1994، تحت قيادة "مدني مزراق"، وتشكيل "جيش الإنقاذ" فيما بعد (Al-AHNAF et autres 1991, p 32).

ثانيا : التنظيمات الإرهابية في الجزائر: من مرحلة الوحدة إلى مرحلة التشتت

لم يدم نشاط الحركة الإسلامية في الجزائر طويلا، لأسباب عديدة، أهمها حالة الصراعات الداخلية والتشتت المستمر، لاسيما في ظل الانشقاقات المتكررة لأعضاء هذه التنظيمات، لأسباب إيديولوجية، تنظيمية، وأيضا بسبب الصراع على الزعامة، ومن أهم هذه التنظيمات نذكر:

1. "الحركة الإسلامية المسلحة"

تشكلت هذه الحركة من طرف عدد من أعضاء التنظيم الذي أسسه "مصطفى بويعللي" في الثمانينات من القرن الماضي، حيث قتل أعضائها وسجن البقية، قبل أن يتم اطلاق سراحهم ما بين 1989 و 1990، بعد عفو رئاسي، شمل المحكوم عليهم بالإعدام أيضا، على غرار "منصوري ملياني" و"عبد القادر شبوطي"، هذا الأخير الذي قاد الجماعة، بعد عقد مؤتمرها التأسيسي، في فيفري من عام 1992، بمدينة الأخضرية، (البويرة)، مع كل من "السعيد مخلوفي" و"عز الدين باعة" و"ملياني" (BOUKRA 2002, p 234).

2. الحركة لأجل الدولة الإسلامية "MEI"

تأسست هذه الحركة عام 1991، على يد أحد العسكريين السابقين للجيش الجزائري، وأحد مؤسسي "الجهة الإسلامية للإنقاذ"، وهو "السعيد مخلوفي"، حيث كان لها انتشار أوسع مقارنة بباقي الجماعات، حيث يتواجد أعضائها في العاصمة ومنطقة القبائل، وجبال الوشريس غربا، وحتى ببعض المناطق الحدودية مع المملكة المغربية. وقد قامت هذه الحركة بالانضمام إلى "الجماعة الإسلامية المسلحة"، لكن سرعان ما انشقت عنها بسبب اختلاف الرؤى حول طرق النشاط، لكن التنظيم اختفى بعد ذلك، بسبب تناقص أفرادها في ظل صعوبة التجنيد، بالإضافة إلى الأسباب الهيكلية والتنظيمية التي لم تسمح لها بالاستمرار طويلا، كنشاط بشكل خاص. (BOUKRA 2002, p 234).

3. جماعة "الباقون على العهد"

تشكل هذا التنظيم الإرهابي في فيفري 1992، في العاصمة، والتي تعتبر مركزا لقادتها ونشاطها أيضا، من طرف "السعيد مخلوفي" و"قمر الدين خربان" و"أسامة عباسي"، وقد انضم إليهم لاحقا، عدد من الفارين من سجن تازولت بباتنة، كما قامت هذه الجماعة برفض أي شكل من أشكال الهدنة والحوار الذي أعلنها "جيش الإنقاذ"، قبل أن تتحالف فيما بعد مع "الجماعة الإسلامية المسلحة" ثم "الجماعة السلفية للدعوة والقتال" (BOUKRA 2002, p 235).

4. جماعة "الهجرة والتكفير"

تأسست في بداية 1991، من طرف "الجزائريون الأفغان"، تحت قيادة "نور الدين صديقي" و"أحمد بوعمرة"، حيث تحمل نفس اسم إحدى الجماعات المصرية التي تأسست في 1974، حيث سعت إلى التغلغل من خلال عناصرها، في وسط معظم الجماعات الإسلامية في الجزائر، مما مكّنها في عام 1995 من السيطرة المؤقتة على "الجيا" أثناء صراعاتها الداخلية، ما بين أتباع "جمال زيتوني" ومعارضيه، كما قامت جماعة "الهجرة والتكفير" بإرسال عدد من عناصرها إلى بيشاور الباكستانية لتلقي التدريبات القتالية اللازمة قبل العودة إلى الجزائر، حيث حلّت قتل كل من لا يقف ضد ما أسموه بـ "الطغمة"، مما ميّز نشاطها على غرار "الجيا"، هو نشاطها الدموي والوحشي (BOUKRA 2002, p 237).

5. "الجيش الإسلامي للإنقاذ" AIS

يعتبر هذا التنظيم، الذي تأسس في 1993، بمثابة الجناح العسكري لـ"الجمعة الإسلامية للإنقاذ" المحلّة، حيث اعتمد على تيار "الجزارة"، قبل أن يتخذ من جبال مدينة جيجل مقراً لقيادته، قبل أن يوسع نشاطه في عدد من المدن الأخرى، تحت قيادة "مدني مزراق"، قبل أن يقرر هذا الأخير التفاوض مع السلطات الجزائرية في 1997، وتسليم نفسه مع حوالي 4000 عنصر من جماعته، الذين استفادوا من قانون الرحمة، أين وضعوا السلاح نهائياً في أكتوبر 1997، كما تجدر الإشارة أن هذا التنظيم تأسس بمباركة أحد قادة "الفييس" المحل، وهو "رايح كبير" المستقر منذ سنوات في ألمانيا (لخضاري 2014، ص 26).

لم تقبل بعض العناصر من "الأفغان الجزائريين" المنتمون إلى تنظيم "مدني مزراق"، بمبادرة السلطات، حيث انشقوا وكونوا مجموعات مسلحة صغيرة، من أهمها "كتائب القدس" و"جماعة السنة والشريعة" و"الباقون على العهد" و"الحركة الإسلامية المسلحة"، والتي أعادت تشكيل جماعة جديدة فيما بعد تحت قيادة "عبد الحق لعيادة".

6. "الجمعة الإسلامية للجهاد المسلح في الجزائر" (الفيدا)

هذا التنظيم الإرهابي هو نتيجة لتيار "الجزارة"، والذي تأسس في عام 1993، حيث يمكن اعتباره، صفوة الجماعات الإرهابية من حيث تركيبة أفرادها أو حتى أهدافه، أين كان يركز على اغتيال الطبقة المثقفة من الجزائريين، على غرار الأساتذة الجامعيين والصحفيين والفنانين والكتّاب... إلخ (BOUKRA 2002, p 235).

7. "الرابطة الإسلامية للدعوة والجهاد"

هذا التنظيم الذي أسسه "علي بن حجر"، في بداية 1997، المنشق عن "الجماعة الإسلامية المسلحة" (كتيبة الوفاء)، بسبب اتهامها بتوجيه جهادها ضد عامة الشعب ورموز الحزب المحلّ المنشقين منه، بدل التركيز على الجهاد ضد السلطة الحاكمة، والممثلة حسيهم في رجال الأمن والجيش والحكومة، كما استقطب هذا التنظيم بعض أفراد "الجمعة الإسلامية للجهاد المسلح"، حيث ركز هذا التنظيم على استقطاب بعض المرجعيات التي تحظى بثقة ومصداقية لدى الأتباع، على غرار "محفوظ رحماني" و"يوسف بوبراس" (لخضاري 2014، ص 26).

8. "حملة الدعوة السلفية"

ظهر هذا التنظيم عام 1997، حيث كان يحمل اسم "كتيبة الأهل"، المنبثقة أصلاً عن "كتيبة التوحيد"، حيث يتمركز التنظيم وينشط بغرب العاصمة الجزائرية، قبل الانشقاق عن "الجماعة الإسلامية المسلحة"، بقيادة "محمد بن سليم"، المكثي "سليم الأفغاني"، الذي أبدى رفضه "الشرعي" للعمليات الانتحارية، التي يقوم بها تنظيم القاعدة في عدد من الدول، بالإضافة إلى رفضه عمليات الاختطاف مقابل طلب الفدية (BOUKRA 2002, p 235).

لكن أصل النشأة يعود إلى عام 1995، عندما انشق "قادة بن شيحة"، المكنى بـ "أبو عبد الرحيم خالد النجدي"، عن "الجماعة الإسلامية المسلحة"، بسبب خلافات في الأصول الشرعية، كما تجدر الإشارة، إلى أن "حماة الدعوة السلفية" أعلنت انضمامها لتنظيم "القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي" في 23 ديسمبر 2013.

تجدر الإشارة إلى أن الجزائر عرفت عدد كبير من التنظيمات الصغيرة، والتي لم تكن فاعلة بقدر كافي لتصنع لنفسها مكانة على الساحة "الجهادية"، ومن أبرزها، "جيش الرسول محمد"، "الأوفياء للقسم"، "جهاد 54"، "القوات الإسلامية العالمية لمناضلي الله"، "المجلس الموحد للحركة الإسلامية"، "حركة الجهاد الإسلامي في إفريقيا"، "منظمة الضباط المسلمين".

9. "الجماعة الإسلامية المسلحة" (الجيا) (GIA)

تعتبر الجماعة الإسلامية المسلحة أو "الجيا"، من بين أهم وأخطر الجماعات الإرهابية التي عرفت الجزائر، والتي تعتبر منطلق أساسي لما تأسس من جماعات إرهابية لاحقة، كـ"الجماعة السلفية للدعوة والقتال"، ومن بعدها "القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي"، ولذلك ارتأينا من الضروري، التوقف حول التطورات والتحويلات التي عرفه هذا التنظيم الإرهابي بالذات.

تأسست "الجيا" على يد "عبد الحق لعيادة"، المكنى بـ"أبو عدلان" في أكتوبر من عام 1992، بعد اجتماع مع كل من "موح لي ليفي" و"منصوري الملياني"، في سبتمبر 1992 ببلدية براق بالعاظمة، حيث تمكنا من الجمع بين عدد من الجماعات الأخرى، منها "الجزائريون الأفغان"، الذين التحقوا بالجماعات الإرهابية، حيث شكلوا 95% من أعضائها، في وقت فضل الـ5% الآخرين العمل تحت لواء "الجيش الإسلامي للإنقاذ" (الأياس)، و"الحركة الإسلامية المسلحة" و"جماعة الهجرة والتكفير"، قبل أن يتم القبض على قائد التنظيم (لعيادة) في المغرب وسجنه، في جانفي 1993، قبل تسليمه للسلطات الجزائرية (MARTINEZ, Pp 32-33)، وقد عرفت هذه الجماعة الإرهابية تداول على قياداتها لأبرز الشخصيات الإرهابية والدموية، في تلك المرحلة، بعد مؤسسها، "عبد الحق لعيادة"، بداية من "عيسى بن عمار"، من جانفي إلى فيفري 1994، ثم "سيد أحمد مراد" (أبو جعفر - جعفر الأفغاني)، والذي قتل في أقل من شهر من توليه قيادة التنظيم، في مارس 1994، ثم "الشريف قوسي" (أبو عبد الله أحمد)، من مارس إلى سبتمبر 1994، ثم "جمال زيتوني" (أبو عبد الرحمن أمين)، من سبتمبر 1994 إلى جويلية 1996، قبل أن يقتل، وقاد بعده التنظيم الإرهابي "عنتر زوابري" (أبو طلحة)، من جويلية 1996، حيث أصدر بيانا أباح فيه دم الشعب الجزائري وماله، بعد "تكفيره"، تحت شعار "صدّ اللّثام عن جوزة الإسلام"، وقد شهدت هذه المرحلة عدد من الانشقاقات، وإعادة تكوين جماعات أخرى، والاختلال فيما بينها، ومنهم "جماعة حماة الدعوة السلفية" و"كتيبة الأهوال" و"رابطة الدعوة والجهاد"، وذلك لغاية 8 فيفري 2002، تاريخ مقتل زوابري (لخضاري 2014، ص ص 28-30).

في خضم الانشقاقات التي كانت تعرفها "الجيا"، تمّ تأسيس "الجماعة السلفية للدعوة والقتال" في 1998، والتي أصدرت بيانا بعنوان "الجماعة رحمة"، تتهم فيها "عنتر زوابري"، بالاستلاء على "الجماعة" وتغيير نهجها الجهادي السلفي، كما وصف البيان أتباع "عنتر زوابري" بـ"التكفيريين الخوارج"، وهو ما أدى إلى تقلص من نفوذه وقوة جماعته، حتى 8 فيفري 2002، تاريخ مقتله ونهاية "الجيا" (BOUKRA 2002, Pp 249-252).

انطلاقاً من شعار "الأمم الثلاث"، أو "لا حوار، لا هدنة، لا صلح" (لخضاري 2014، ص 28)، اعتمدت استراتيجية "الجيا" على عدد من الخصائص، حيث ظهر نوع من التنظيم الهيكلي، على عكس باقي الجماعات، أين تمّ تقسيم الجزائر إلى مناطق عسكرية، كل منطقة يقودها "أمير جهوي"، وتحتوي المناطق على كتائب، يقودها "أمير كتبية"، ينوب عنه ما كان يعرف بـ"الثابت الشرعي" أو المفتي.³

تعتمد هذه الاستراتيجية على توزيع أكبر عدد من الجماعات، على أن تكون قليلة العدد (من 3 إلى 10 أفراد)، مما يسهل عملية الفرار في حال المواجهة ضد مصالح الأمن، بالإضافة على استقلالية الجماعات الصغيرة التابعة لـ"الجيا" في النشاط الإرهابي، كما لا تقتصر "الجيا" في اختيارها لأعضائها على الإسلاميين فقط، بل شملت عاطلين عن العمل، مساجين سابقين، لصوص وحتى بعض المدمنين على المخدرات أو الخمر. ويستعمل التنظيم الإرهابي عدد من الوسائل لتنفيذ استراتيجيته العملية، وهي الاغتيالات، الاختطاف، التفجيرات والحرق والتخريب لمؤسسات الدولة، وأخيراً السيارات المفخخة.

من أهم الأعمال الإرهابية التي قامت بها هذه الجماعة، تحت إمارة "عنتر زوايري" تحديداً، مجزرة "بن طلحة" و"الرايس حميدو" و"بني مسوس"، و"الرمكة" و"عين طارق" بمدينة غليزان، وهي عمليات راح ضحيتها المئات من أبناء الشعب، بالإضافة إلى عملية اختطاف الشيخ "محمد بوسليمان"، رئيس جمعية الإرشاد والإصلاح، قبل قتله، وقد نفذت معظم هذه العمليات ما كان يعرف بـ"كتيبة الموت" (لخضاري 2014، ص ص 31-30).

عرف نشاط "الجيا" تطوراً، من خلال البحث عن تدويل قضية هذه الجماعة، وهي أولى مراحل الانتقال من النشاط المحلي إلى النشاط الدولي، حيث كانت البداية باغتيال رجلي دين فرنسيين في ماي 1994، وثلاثة (3) من رجال الدرك الفرنسيين وعونيين أمن من السفارة الفرنسية في أوت من نفس السنة، قبل عملية اختطاف طائرة ركاب فرنسية في 24 ديسمبر 1994، واغتيال رجال دين، من بينهم 3 فرنسيين في مدينة تيزي وزو، واغتيال 5 أجانب في غرداية في 11 جويلية 1995، ثم تفجيرات مترو الأنفاق في العاصمة الفرنسية باريس، في 25 جويلية 1995، واختطاف الرهبان الفرنسيين بـ"تبيحيرين" في مارس 1996، واغتيالهم فيما بعد، وهنا نلاحظ الانتقال في النشاط الإرهابي من العدو القريب (النظام الحاكم) إلى العدو البعيد، مما يعطي صفة العالمية لنشاط هذه الجماعة (LAMCHICHI 1994-1995, Pp 201-206).

تمكنت "الجيا"، من الوصول إلى العالمية، من خلال تكوينها لشبكة من جماعات الدعم والإسناد في عدد من الدول، منها فرنسا والولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا وبلجيكا وسويسرا، بالإضافة إلى المغرب والمملكة العربية السعودية واليمن، وقد قام التنظيم بالاتصال بـ"أسامة بن لادن" عام 1995، في السودان، عن طريق "رضوان ماكادور"، المكفي "أوبصير" وهو المبعوث الخاص لـ"جمال زيتوني"، مهدياً أي شخص مهما كان، قد يدعم أي تيار جهادي في المنطقة، من غيره. كما قامت الجماعة الإرهابية بإعلان رسمي لما أسمته

³ قادة بن شيحة وعبد الناصر العلمي في منطقة الغرب، علي زوايري ومصطفى قراطالي بمنطقة المتيجة، عبد القادر حطاب للشرق العاصمي، وسايح عطية وسيد علي بن حجر في منطقة المدية و عين الدفلى.

ب"الجهاد على الأراضي الفرنسية" في بيان وُزِعَ على الصحافة الوطنية والدولية، في 11 جوان 1999. (BOUKRA 2002, Pp 250-252).

ساهم تدويل هذه الجماعة إلى عدد من النتائج أهمها إدراجها ضمن قوائم الإرهاب الدولي، في كل من فرنسا، الولايات المتحدة، كندا، وبريطانيا، كما قامت عدد من الدول الأوروبية (ألمانيا، فرنسا، سويسرا، بلجيكا) بحملة اعتقالات في ماي 1998، قبل انطلاق فعاليات كأس العالم بفرنسا، حيث تمّ تفكيك عدد من الخلايا المرتبطة بالتنظيم بأوروبا، كما اعتمدت هذه الجماعة على سياسة إعلامية تقوم بتوزيع بيانات وتسجيلات صوتية، عن طريق "ميدي 1"، من طرف "رضوان محمد" (BOUKRA 2002, P 251).

ثالثا: من مرحلة التفكك إلى مرحلة إعادة التركيب

تلقت هذه الجماعات عدّة ضربات موجعة من طرف السلطات الجزائرية، ممثلة في قوات الأمن المختلفة، باعتقال بعض القادة أو مقتلهم، لكن العامل الذي ساهم بشكل كبير في تفكك هذه الجماعات واندثارها، هو الصراعات الداخلية، لأسباب عديدة، متعلقة بطريقة النشاط والقيادة والتنظيم وتوزيع ما يوصف لديهم ب"الغنائم".

البداية كانت عند تولي "جمال زيتوني" قيادة التنظيم، أين قام بتصفية كل من يحاول منافسته، من داخل جماعته أو من الجماعات الأخرى، مع المحافظة على "الجزائريين الأفغان"، لامتلاكهم قدرات تكوينية في الحرب والتكوين الفكري والإيديولوجي والديني، على عكس "الجماعة الإسلامية المسلحة" التي لا تملك تاريخا نضاليا، ولا تكوينا ميدانيا وفكريا.

في نفس السياق، فقد تعرض التنظيم الدموي، إلى انتقادات من طرف "جيش الإنقاذ" (الأياس) على الطريقة الهمجية المتبعة من طرف "الجيا"، وهو ما خلق صراع بين الطرفين، أدى إلى تصفية عدد كبير من أعضاء الطرفين. (BOUMERZHA 2002, Pp 22-27).

مرحلة أخرى، في الصراع الداخلي للجماعات الإرهابية في هذه المرحلة، كانت بين القادة المركزيين والقيادات اللامركزية، التي أوكلت مهمتها لـ"الجزائريين الأفغان"، وكانت الحادثة التي أوقعت الانشقاق والتمرد على القيادة الوطنية، عندما رفض "أمير" منطقة الغرب، "قادة بن شيحة"⁴، إرسال حصّة الأمير الوطني لـ"الجيا"، من "غنائم" بعد الهجوم الذي نفذته جماعته على ثكنة منطقة "تلاغ" بمدينة سيدي بلعباس، مما أدى إلى بداية الانشقاق بين القيادة الوطنية و"الجزائريين الأفغان".

ما زاد في إضعاف "الجماعة الإسلامية المسلحة" هو الشرخ الذي حدث مع المرجعيات الخارجية، التي كثيرا ما كانت تعطي الشرعية لنشاط لهذه الجماعات في الجزائر، منهم "أبو فتادة الفلسطيني" و"أبو حمزة المصري" و"أيمن الظواهري"، الذين سحّبوا تأييدهم لجماعة "جمال زيتوني"، مما خلق نوعا من اللبس والغموض حول شرعية النشاط الذي تقوم به هذه الجماعات، مما فتح على "الجيا" جبهة ثانية للصراع، بعد

⁴ كان بن شيحة محسوب على تيار حكمتيار، على عكس الكثيرين من جماعته كانوا محسوبين على تيار أو جميل عبد الرحمن، التيار السلفي الجهادي.

أن كانت قوات الأمن الجزائرية، ليصبح الصراع أيضا ضد بعض الجماعات الإرهابية الأخرى، المنافسة لتنظيم "جمال زيتوني"، وهذا ما شكل تيارين داخل "الجيا"، "السلفية والجزارة" (BOUKRA 2002, p 153).

رغم بقاء بعض العناصر من "الجيا" لغاية 2004، إلا أن نشاطهم كان محدودا، إن لم نقل منعدما، في ظل ظهور ما يسمى بـ"الجماعة السلفية للدعوة والقتال"، والتي أصبحت تضم عدد من مجموع الجماعات السابقة الناشطة في الجزائر.

رابعا: من "الجماعة السلفية للدعوة والقتال" إلى نشأة "القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي"

تكتسي المرحلة الثانية من التطور الجينيولوجي للظاهرة الإرهابية في الجزائر، أهمية كبرى حيث عرفت عدة ديناميكيات من حيث الاستراتيجيات والنشاط والهيكلة والتنظيم والانتشار، مما سمح لهذه التنظيمات من الانتقال السلس من النشاط الإرهابي المحلي إلى الإرهاب الدولي، من جهة، ولانتشاره الجغرافي وتوسعه لنشاطها وتمركزها نحو الجنوب، من جهة أخرى، قبل أن تتحول هذه المنطقة المتأزمة أصلا، إلى المسرح الرئيسي لنشاط الإرهاب الدولي في المنطقة.

1. "الجماعة السلفية للدعوة والقتال": الطريق نحو القاعدة

استغل بعض المنشقين عن الجماعات المسلحة السالفة الذكر، الصراعات الداخلية فيما بينها، وعلى رأسهم "الجيا" و"الأياس"، لتكوين جماعة جديدة استطاعت لم شمل المنشقين، في 1998، حيث ركزت في البداية على استقطاب فئات الشعب، من خلال بيانها الأول الرافض لمنهج "الجيا"، وهو ما وصف بانحرافات الجماعات الأخرى، كما قامت الجماعة الجديدة بنفي أفكار التكفير والتطرف والغلو، مؤكداً أنهم لن يتعرضوا إلى المواطنين العزل، لدرجة أن البيان الأول لـ"الجماعة السلفية للدعوة والقتال" (BOUKRA 2002, Pp 270-273)، جاء فيه تنديد بكل العمليات ضد المدنيين، سواء في الداخل أو الخارج، في إشارة واضحة إلى تفجيرات ميترو باريس عام 1995، كما ركز الخطاب الدعائي للجماعة، على الهدف الأساسي، وهو إقامة دولة تقوم على الشريعة الإسلامية، وقد تعهد التنظيم بعدم مهاجمة المدنيين داخل الجزائر، سواء أجنب أم جزائريين، ونفس الأمر بالنسبة للخارج. (لخضاري 2014، ص ص 35-38).

لقي الخطاب الدعائي لـ"الجماعة السلفية للدعوة والقتال"، منذ البداية ترحيبا شعبيا، لاسيما بعد مهاجمة سياسة "الجيا" الدموية، لكن ما حدث بعد ذلك أكد عدم التزام التنظيم الجديد بكافة وعوده، وقد كانت الانطلاقة من عمليات الانشقاق التي عرفها تنظيم "الجيا"، وكان هؤلاء هم أنفسهم الذين شكلوا النواة الأولى للجماعة الجديدة، بداية من "حسان حطاب" (أبو حمزة) و"نبيل صحراوي" و"عماري صايفي" (عبد الرزاق البار) و"مختار بلمختار" (الأعور) و"أحمد زاربيب" (أبو البراء)، وتميّز فكر "الجماعة السلفية للدعوة والقتال"، بارتباطه الوثيق بنهج تنظيم القاعدة، السلفي الجهادي. (BENCHEIKH 2016, Pp 9-12)

تم تقسيم الجماعات الفرعية للتنظيم الجديد، حسب المناطق التي ينشط بها، وهي تسعة (9)، حيث نجد أن بعض الخلايا تضم ولايتين، ذات الكثافة السكانية الضعيفة، وهنا بدأ الزحف نحو الجنوب بصفة واضحة، حين تمّ تصنيف منطقة الصحراء كمناطق تاسعة، تحت إمارة "عيسى كروم"، قبل أن يتولى مختار

بلمختار (الأعور-أبو العباس) قيادة منطقة الصحراء، بعد القضاء على سلفه من طرف قوات الأمن الجزائرية، حيث أصبح "الأعور" يلقب بـ"مسؤول الجنوب"، في وقت كان "عماري صايفي" (البارا)، مسؤولاً عن المنطقة الخامسة للتنظيم. (MARTINEZ, 2003, P3).

تؤكد الأرقام أن عدد المنخرطين، عند تأسيس التنظيم، وصل إلى 6000 فرد، في 1998، لكنه تقلص مع مرور الوقت ليصل إلى حدود 300 فرد فقط، حسب الأرقام الرسمية للسلطات الجزائرية، في وقت كذبت فيه بعض التقارير الأوروبية والأمريكية هذه الأرقام، أين رجحت أن عدد أفراد الجماعة السلفية للدعوة والقتال بلغ الألف (1000) فرد في عام 2006. (BOUKRA 2002, Pp 273-274).

من الناحية التنظيمية، عرف التنظيم تطورا كبيرا، حيث كانت البداية من خلال نشر ما وصف بـ"ميثاق الجماعة السلفية للدعوة والقتال" والذي جاء فيه أن تكوين الجماعة ما هو إلا وسيلة مرحلية للوصول إلى تكوين "الخلافة الراشدة"، والهدف "المقدس"،⁵ بالإضافة إلى الدعوة من خلال الميثاق إلى ضرورة قتال النظام الجزائري، الذي وصف بـ"المرتد" عن الشريعة الإسلامية،⁶ كما تطرق الميثاق المؤسس، إلى إعلاء كلمة الله من خلال "الجهاد" والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.⁷

ذكر "الميثاق" الوسائل الواجب استعمالها للوصول إلى أهدافه، وهي، الدعوة إلى الله، من خلال نشر البيانات والرسائل والمجلات والأشرطة السمعية البصرية، بالإضافة إلى إقامة مدارس شرعية، ثم القتال، وهو الجهاد حسب رؤيتهم، بالإضافة إلى التنظيم، ويعني الالتزام بالقواعد الفقهية للدين الإسلامي، ثم إعداد العدة، الذي يعني الإعداد العسكري لمواجهة "العدو".

على صعيد آخر، أبدت الجماعة منذ الوهلة الأولى موقفها من الجماعات الإرهابية المحلية والدولية، حيث ترى في الأولى أنهم "خوارج" فاسدين، كما وصفت كل من "جماعة الهجرة والتكفير" و"جماعة الإنقاذ" و"الجزائريين"، بالمبتدعة والضالين، لكن التنظيم الجديد، وإن تبرأ منهم، إلا أنه أكد عدم تكفيرهم، أما بالنسبة للجماعات الناشطة في مناطق أخرى من العالم، فتري "الجماعة السلفية للدعوة والقتال" أنه مهما كان الاختلاف إلا أن هذه الجماعات تشكل تكاملا وتعاوناً.

يعتبر التيار السلفي الجهادي في العالم، أحد الدعائم التي اعتمد عليها التنظيم الجزائري، و كان أكبر دعم مباشر جاء من تنظيم "القاعدة"، حيث لم يتوان الزعيم السابق للتنظيم الإرهابي، "أسامة بن لادن" في إرسال مندوبين إلى قيادات "الجماعة السلفية للدعوة والقتال"، حاملين المال والنصائح، حيث تحدث مصادر عن تبرع "أسامة بن لادن" للتنظيم الجزائري عند تأسيسه بـ40 ألف دولار، كما يعتمد التنظيم الجزائري على "العرب الأفغان" المغاربة والتونسيين والليبيين لتلقي الدعم باستمرار، أو حتى من العرب والجزائريين العائدين من أفغانستان نحو أوروبا، لاسيما فرنسا وإسبانيا. (M. GUIDERE, 11/2006, P 8).

⁵ المقصد السادس من ميثاق الجماعة السلفية للدعوة والقتال.

⁶ المقصد الحادي عشر من ميثاق الجماعة السلفية للدعوة والقتال.

⁷ المقصد الثاني عشر من ميثاق الجماعة السلفية للدعوة والقتال.

لم تتوقف الجماعة عند الاعتماد على الخارج في التمويل، بل اعتمدت على نفسها من خلال عدد من النشاطات، والتي تعتبر الدافع الأساسي الذي أدى بـ"الجماعة السلفية"، للتقرب من المناطق الجنوبية للجزائر، من أجل البحث عن مصادر جديدة للتمويل، حيث توفر المنطقة كل أشكال هذه المصادر، من تهريب وتجارة غير مشروعة، بالإضافة إلى عمليات اختطاف الأجانب، وطلب الفدية بالمقابل.

من الناحية الاستراتيجية، بدأت "الجماعة السلفية" نشاطها مبكرا في نهاية عام 1998، بالهجوم على ثكنات ومراكز للأمن والدفاع الذاتي، كما اعتمدت على نصب الكمائن واغتيال رجال الأمن والجيش، كما حاولت الحفاظ في البداية على مشروعها وعودها بعدم التعرض للمدنيين، لكن سرعان ما تخلت عن هذا المبدأ.

حتى وإن كانت "الجماعة السلفية" أقل قدرة من الناحية الاستراتيجية مقارنة بـ"الجيا"، إلا أنها اختلفت عن سابقتها من الجماعات بخلق توازن بين العدو القريب والعدو البعيد، كما أن استراتيجيتها بدت قريبة من تلك التي تمارسها "القاعدة"، من خلال تصوير الكمائن وعمليات القتل للجنود الجزائريين والاستلاء على أسلحتهم، وتصوير عمليات الإعدام.

عرفت الاستراتيجية المتبعة من طرف هذه الجماعة تحولات ملحوظة بنزوح نشاطها شيئا فشيئا نحو الجنوب، منذ 2002، وصولا إلى الأراضي المالية والموريتانية، خاصة بعد تضيق الخناق عليها من طرف قوات الأمن، وقد بدأت تظهر في تلك المرحلة شبه استقلالية لجماعة الجنوب، التي تمارس عدد من النشاطات التي لا تستطيع الجماعة ممارستها في المناطق الشمالية، كسرقة السيارات وإعادة بيعها في دول الجوار، واختطاف الأجانب، السواح أو العاملين بالمنطقة.

شهدت "الجماعة السلفية"، عددا من الانشقاقات، كان أهمها "الجماعة السلفية الحرّة" التي اتخذت من منطقة القل، القريبة من مدينة سكيكدة مقرا لها، بعد حديث عن إمكانية تفاوض أمير الجماعة، "حسان حطاب" مع السلطات الجزائرية لوضع السلاح، قبل أن ينشق "نبيل صحراوي"، المكنى بـ"أبو إبراهيم مصطفى"، ويستقر في تبسة بشرق البلاد، ويعود فيما بعد لقيادة التنظيم بعد تخلي "حسان حطاب" عن المنصب.

2. التقارب بين "الجماعة السلفية للدعوة والقتال" و تنظيم "القاعدة"

عرفت العلاقة بين تنظيم "القاعدة" والتنظيمات الإرهابية في الجزائر توترا كبيرا، منذ منتصف التسعينات من القرن الماضي، وتحديدا في أواخر 1994، عندما أرسل بن لادن مبعوثا لـ"جمال زيتوني" يعرض عليه الدعم المالي واللوجستي، مقابل التخلي عن النهج الدموي لـ"الجيا"، لكنه رفض عرض "القاعدة"، وكذا أي تدخل من الخارج في صراعه مع النظام الجزائري، مبررا موقفه بأن "الجيا" أكبر قوة من حيث العدد، مقارنة بالقاعدة، حيث كان عدد العناصر الإرهابية لـ"الجيا" في ذلك الوقت حوالي 3000 فرد، كما أن "أسامة بن لادن" اقترح على قيادة التنظيم تغيير اسم التنظيم الجزائري وتغيير النهج، وهو ما رفضه "جمال زيتوني".

(FILUI 2/2010, Pp 120-127)

بعد عدد من الخلافات التي عرفتها "الجماعة السلفية"، بسبب التقرب من "القاعدة" ظهر تيارين، الأول يطالب بالاندماج الكلي مع التنظيم الإرهابي العالمي، بينما بقي التيار الثاني، بين التحفظ والرفض لهذا النوع من الاندماج، ويقود التيار المنادي بالانضمام، كل من "نبيل صحراوي"، الذي كان أميراً على الجماعة، خلفاً لـ"حسان خطاب"، "مختار بلمختار"، أمير المنطقة التاسعة، ونائبه، "إبراهيم غريقة" (إبراهيم أبي إسحاق)، "مراد خباب"، نائب "نبيل صحراوي"، "أحمد زرايب" (أحمد أبي البراء)، مفتي التنظيم، "سمير صيود" (سمير مصعب) منسق الجماعة، بالإضافة إلى "عبد المالك درودكال" (أبو مصعب عبد الودود)، الذي أصبح أميراً للجماعة بعد مقتل "نبيل صحراوي" في 2004، (BURGAT 2006, Pp 50-51) أما التيار الرفض للانضمام فقد شمل، مؤسس التنظيم وأميره الأول، "حسان خطاب"، "نور الدين غريقة" (مصطفى أبو البراء) المسؤول الإعلامي للجماعة، "عماري صايبي" (عبد الرزاق البار)، مسؤول المنطقة الخامسة بالجماعة السلفية.

كل ذلك لم يمنع "حسان خطاب"، الذي كان "أميراً جهويًا" للمنطقة الثانية لـ"الجيا"، من الاتصال بأيمن الظواهري، لإبداء استيائه من نهج "جمال زيتوني" الدموي، وهو ما يعتبر محاولة التنظيم، إعادة البحث عن الثقة المفقودة بينهم وبين "القاعدة"، طمعا في غطاء "الشرعي" لهم، والذي فقدته "الجيا" من خلال منهجها الدموي ضد المدنيين خاصة (BAUD, 2009, Pp 70-75)، وقد تواصلت الاتصالات السرية بين "القاعدة" والتنظيمات الإرهابية الجزائرية، حيث تمكنت قوات الأمن الجزائري، في 2000/09/12 من القضاء على "عماد عبد الوحيد أحمد علوان"، المكنى "أبو أحمد"، بضواحي مدينة باتنة، وهو يماني الجنسية، أين كشفت التحريات فيما بعد، أن هذا الأخير، هو مبعوث تنظيم "القاعدة" للقاء "مختار بلمختار"، قائد المنطقة الجنوبية.

لعبت أحداث 2001/09/11 دوراً في التقارب بين "الجماعة السلفية"، وتنظيم "القاعدة"، خاصة بعد نداء أسامة بن لادن لما أسماه بـ"الجهاد العالمي"، حيث قام في عام 2002 بإرسال مبعوث خاص لمناقشة الاندماج، الذي رفضه "حسان خطاب"، مما خلف استياء داخل "الجماعة" أدى إلى عزل "خطاب"، وتولي "نبيل صحراوي" قيادة التنظيم، أين أبدى تأييده لما أسماه بـ"جهاد" أسامة بن لادن ضد أمريكا، كما لم يتوان في الاتصال بتنظيم "القاعدة" في 2003، من خلال بيان مساندة لـ"القاعدة"، في الذكرى الثانية لهجمات 09/11، معتذراً في نفس البيان عن تأخر "الجماعة السلفية" الجزائرية في مساندة التنظيم العالمي، مؤكداً مبايعته لأسامة بن لادن و"عمر الملا" زعيم تنظيم "طالبان" (DURAND 2011, Pp 28-30).

عرفت سنة 2003، الرفع من حدّة العمليات الإرهابية في الجزائر، موازاة مع احتلال الولايات المتحدة للعراق، ورداً على ما وصف من طرفهم بمساندة الحكومة الجزائرية للمشروع الأمريكي، وهي بداية تحوّل في عقيدة التنظيم، التي كانت تركز في عملياتها على العدو القريب (النظام الحاكم)، بهدف إقامة دولة إسلامية تقوم على تطبيق الشريعة الإسلامية (حسب التنظيم)، قبل التحول إلى العدو البعيد، من خلال ضرب كل من يساند الولايات المتحدة و"اليهود والصليبيين" في الجزائر.

لم تتوقف مبادرات التقرب من "القاعدة" في البيانات، بل قامت "الجماعة السلفية" بإرسال البعض من عناصرها، للقتال في العراق، وكذا مباركة قيادة التنظيم الجزائري، لعمليات "أبو مصعب الزرقاوي" في

العراق، وهو ما سمح للجزائريين في العراق من اكتساب بعض الخبرات القتالية في بيئة صحراوية صعبة، سهلت من مهمتهم بعد عودتهم وانتشارهم جنوباً.

في هذا الإطار، راهن "حسان حطاب" على فرع القاعدة بالعراق، من خلال إصدار عدد من بيانات المساندة له، و"إهداء العمليات الإرهابية في الجزائر إلى أرواح الإخوة في العراق"، ووصف العراق "بأرض الشهداء"، بالإضافة إلى إعلان الحرب على القوى المتحالفة مع الغرب وضرب مصالحهم أينما كانت، لدرجة أنه اعتمد على خطاب دعائي جديد للتقرب من "القاعدة" يقوم على شعار "لا ولاء للوطن، ولا للجنسية، فلا ولاء إلا للإخوة في الإسلام ونصرة الدين".

بعد مقتل "صحراوي" رفقة نوابه، "أبو عبد العزيز" و"مراد خباب"، في 2004، تمّ فسح المجال أمام أحد أكبر دعاة الاندماج مع "القاعدة"، وهو "عبد المالك درودكال"، الذي عبر عن فرحة "الجماعة السلفية"، من خلال بيان تهنئة لفرع "القاعدة" في العراق، بعد اختطاف جماعة "الزرقاوي" للدبلوماسيين الجزائريين (علي بلعروسي وعز الدين بلقاضي)، في 2005، وإعلان قتلها في 28 جويلية من نفس العام. (GUIDERE, 2007, Pp 99-111).

زاد "درودكال" من وتيرة التقارب بين جماعته و"القاعدة"، من خلال بيان تهنئة بعد وصول "أحمد قاديروف" لرئاسة الشيشان، ثم بيان تعزية في قائد الجماعة المسلحة في نفس البلد "شاميل باسايف"، والخطوة التي لاقت استحساناً من طرف "أبو حفص"، وهو أحد مقربي بن لادن، وممثله في الشيشان، ومن ناحية أخرى، مواصلة التقرب من "الزرقاوي" الذي نال مباركة أسامة بن لادن، ليصبح "أمير القاعدة في بلاد الرافدين"، في الوقت الذي بدأ فيه "درودكال" التواصل مع "الجماعة السلفية الجهادية المغربي" و"الجماعة السلفية الجهادية التونسية" (MARRET 2008, Pp 540-546).

محاولات التقرب الذي مارستها "الجماعة السلفية"، من "القاعدة" عن طريق "الزرقاوي"، أتت بنتيجة لصالح التنظيم الجزائري، حيث أثنى الزرقاوي على "الجماعة السلفية"، وأوصى قيادات التنظيم المركزي، بأنها قادرة على تحمل مسؤولية تمثيل "القاعدة" في شمال أفريقيا، وكان ذلك في سبتمبر 2005، في وقت تلقى فيه "دروكدال" ضربة موجعة، كادت أن تقضي على "الجماعة السلفية"، بعد قبول عدد كبير من قياداته وأعضائه، قانون المصالحة الوطنية، الذي أدى باستنزاف عناصر التنظيم بعد استسلام المئات منهم للسلطات الأمنية الجزائرية ووضع السلاح، استمر حتى أوت 2006، مما عجل من عملية الانضمام لـ"القاعدة".

عرفت التنظيمات الإرهابية التي شكلت نواة الإرهاب في الساحل الأفريقي اليوم، اهتماماً بالعمل الإرهابي، بداية تحولها الاستراتيجي، بالانتقال من العدو القريب (النظام) إلى العدو البعيد، حيث تمكنت "الجماعة السلفية للدعوة والقتال"، من اغتيال عدد من الجنود الأمريكيين، مع نظرائهم الجزائريين، بمنطقة الأوراس، في جانفي 2003، كانوا في مناورات مشتركة مع الجيش الجزائري، مما دفع بالولايات المتحدة إلى وضع التنظيم في قائمة الجماعات الإرهابية.

في سياق آخر، تمكنت "الجماعة السلفية"، بقيادة أمير المنطقة التاسعة (الصحراء)، "عماري صايبي"، في 23 فيفري 2003، من اختطاف 32 سائح أوروبي، و الهروب بـ13 منهم إلى شمال مالي، بعد أن

تمكنت قوات الأمن الجزائرية من تحرير 18، لم يتم يطلق سراحهم إلا في 2003/08/18، بعد دفع فدية بقيمة 5 مليون أورو، وهو ما أعطى للإرهاب بعدا دوليا في تلك المرحلة. (M. GUIDERE 2008, Pp 31-37) وقد أدت هذه العملية الإرهابية النوعية، من عودة "بلمختار" إلى منطقة الساحل، بعد أن كان بالجزائر منذ 2002، ليحضر اجتماعات "الجماعة السلفية للدعوة والقتال" (مجلس الشورى و الهبئات القيادية).

حاول "عبد الرزاق البار" توسيع نشاطه الدولي بالمنطقة، بحثا عن مناطق آمنة، بهدف البحث عن مناطق تسمح له بالتحرك والمناورة بأكثر حرية، بعد عملية اختطاف السياح الأجانب، وتضييق الخناق على بعض المناطق التي كان يستقر بها، حيث بدأ في رحلة مع عدد من عناصر جماعته، في عدد من الدول المجاورة، مروا بمالي والنيجر، قبل أن يصل إلى تشاد ويشتبك مع الجيش التشادي، ليلجأ إلى جبال المنطقة، والتي كانت تحت سيطرة متمردي "الحركة من أجل العدالة والديمقراطية"، التي سلمته إلى ليبيا ثم الجزائر، التي رفضت التفاوض المباشر مع الجماعة المسلحة التشادية.

ما تبقى من جماعة "البار"، قاموا بتشكيل جماعة مسلحة أطلق عليها اسم "الفتاحين"، تحت قيادة "عبد الحميد أبو زيد"، قبل أن يتم ضمها إلى "إمارة الصحراء" في 2007، تحت اسم "كتيبة طارق بن زياد".

في جوان من عام 2004 أخذت "الجماعة السلفية" صفة الإرهاب الدولي بشكل أوضح، بعد أن أعلنت رسميا، من خلال بيان لها، أنها ستحارب كل المصالح الأجنبية داخل الحدود الجزائرية، أفرادا أو مؤسسات أو منشآت، قبل أن يلقى أمير التنظيم، "نبيل صحراوي"، حتفه على يد قوات الأمن الجزائرية في نفس الشهر من نفس السنة (جوان 2004)، ليخلفه على رأس التنظيم الإرهابي "عبد المالك دروكدال"، وهي نفس الفترة من نفس العام (2004)، التي قرر فيها "بلمختار" الاستقرار النهائي في الساحل الأفريقي، وتحويلها إلى قاعدة خلفية للتنظيم الناشط بالشمال، وهو ما أكده "الحسن ولد اخليل" (جليبيب)، مسؤول الإعلام السابق في "إمارة الصحراء"، في أحد لقاءاته، أين فسر نقل العمل الإرهابي من الشمال إلى الجنوب بمحاولة "فك الطوق وإعطاء متنفس جديد للنشاط "الجهادي" من خلال التوسع جغرافيا في رقعة أكبر" (المعالي 2014، ص 38)، وهو نفسه الذي تبنى في جوان 2005 عملية الهجوم على أحد مراكز الجيش الموريتاني في منطقة "المغيطي"، و مقتل 15 من الجنود الموريتانيين، و 5 من المهاجرين، ردا على اتهام كان قد وجهه النظام الموريتاني لعدد من معتقليه بعلاقتهم بالجماعة السلفية. (BAUD, www.globalterrorwatch.ch 2016).

أبرزت هذه العملية مدى تغلغل "الجماعة السلفية" في المناطق الجنوبية، لاسيما بعد أن قامت السلطات المالية بتنظيم دوريات للجيش على الحدود مع موريتانيا، بطلب من نواكشوط، بسبب تسلل عدد من أعضاء التنظيم الجزائري واندماجه العضوي مع الجناح المسلح لـ"الحركة الإسلامية الموريتانية".

إن الاحتكاك بمنطقة الساحل الأفريقي، والخطوات الأولى نحو دولية الإرهاب المحلي، كانت في 1994، حين كان أعضاء "الجيا" يعبرون صحراء الأزواد باتجاه النيجر، لشراء الأسلحة والأدوية وبعض المستلزمات اللوجستية، التي كان يصعب اقتنائها من المناطق الشمالية، لكن دون أن يقوم أفراد التنظيم بالاستقرار بالمنطقة، فقد كانت مجرد منطقة عبور، حتى نهاية جوان من عام 2000، أين تمّ رصد مكان تواجد "أمير

المنطقة التاسعة"، "مختار بلمختار" و 16 من أفراد كتيبته، من طرف قوات الأمن الجزائرية، التي قامت بقصف معتقلاتهم، لكنهم تمكنوا من الفرار جنوبا مجبرين، قبل أن يصلوا إلى صحراء الأزواد والاستقرار بها.

كما كان لـ"الجماعة السلفية" دور في تغيير مسار "رالي داكار"، بعد التهديدات التي كشفتها الاستخبارات الفرنسية، قبل أن يتم إلغاء الرالي نهائيا بسبب تغلل الجماعة الإرهابية بالصحراء والساحل.

تعتبر "الجماعة السلفية للدعوة والقتال" من أهم التنظيمات الإرهابية التي عرفتها المنطقة، والتي شهدت انتشارا جغرافيا إلى خارج الجزائر نحو الصحراء و دول الساحل الأفريقي، من حيث التمرکز أو النشاط، مما سمح لها بوضع الأسس الأولى للظاهرة الإرهابية في صورتها اليوم بالمنطقة.

عرفت منطقة الساحل الأفريقي، منذ نهاية التسعينات نزوح للجماعات الإرهابية التي كانت تنشط بالشمال الأفريقي، والجزائر بشكل خاص، حيث أدت التحولات الإقليمية والدولية، إلى ظهور عدد كبير من الجماعات الإرهابية المختلفة، لكن متفاوتة القوة والفعالية، حيث يعتبر تنظيم "القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي" من أهم التنظيمات الإرهابية الفاعلة منذ نشأتها إلى يومنا هذا.

خامسا : نشأة "القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي"

من الواضح من خلال تتبعنا للمسار الجينيالوجي للتنظيمات الإرهابية في الجزائر، أن هذا الأخيرة ساهمت في نشأة تنظيم "القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي"، والذي يعتبر استمرارية، بنفس العناصر ونفس الإيديولوجية مع تغيير في الهيكلة التنظيمية والاستراتيجية العملية والتموقع الجغرافي، لـ"الجماعة السلفية للدعوة والقتال"، هذه الأخيرة، التي استغلت التقارب مع تنظيم "القاعدة"، في مرحلة قيادة "نبيل صحراوي" للتنظيم، ومن بعده منذ 2004 "عبد المالك دروكدال".

رغم العلاقة بين الطرفين (الجماعة السلفية للدعوة والقتال - القاعدة) دامت سنوات قبل الانضمام الرسمي، ورغم إعلان "أبو مصعب الزرقاوي" عن إمكانية تمثيل "الجماعة السلفية" لـ"القاعدة" بشمال أفريقيا في 2005/09، إلا أن قيادة التنظيم الإرهابي العالمي، انتظرت عاما كاملا بعد حديث الزرقاوي، ليعلن أيمن الظواهري من خلال تسجيل مصوّر بث في 2006/09/11 عن احتضان "القاعدة" لـ"الجماعة السلفية للدعوة والقتال"، وهو ما باركه التنظيم الجزائري، في بيان منشور، أين تمّ إبداء الولاء لـ"القاعدة" وقيادتها، مؤرخ في 2006/09/11، وهو التاريخ الذي يحمل رمزية كبيرة، بأن التنظيم الإرهابي قرر إبداء الولاء لزعيم تنظيم "القاعدة"، أسامة بن لادن، ومبايعته، والاستعداد التام للعمل تحت مظلته، لكن البيان صدر في 2006/09/13، أي بعد يومين كاملين من إعلان الظواهري. (PERNIN et SAYAD 2011, Pp 445-446).

أما المرحلة الثانية، في نشأة التنظيم الجديد، كانت في 24 جانفي 2007، عندما أعلن زعيمه "دروكدال" بتغيير الاسم، ليتحول من "الجماعة السلفية للدعوة والقتال" إلى "القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي"، والذي استغرق خمسة (5) أشهر كاملة، حيث أرجعته بعض الكتابات إلى رفض أسامة بن لادن للأسماء المقترحة وكانت ثلاثة، وهي، "القاعدة في بلاد الجزائر"، والقاعدة في بلاد المغرب العربي" و"القاعدة في

بلاد البربر"، قبل أن يستقر الاسم على "القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي"، وقد نجدها في بعض بياناتهم، "قاعدة الجهاد في بلاد المغرب الإسلامي". (WILKINSON 2012, Pp 14-16).

تمكن التنظيم الجديد من ضم التنظيمات الإرهابية الأخرى، في كل من المغرب وتونس وليبيا، تحت إمارة واحدة، قبل أن يتوسع التنظيم نحو الجنوب بشكل كبير، سواء من حيث تمركز الجماعات التابعة له، أو من حيث النشاط العملياتي.

بدأت نتائج التغيير واضحة، لاسيما أن التنظيم الإرهابي المغربي الجديد حاول التشبه بنظيره في العراق، بعد الوساطة التي قام بها لصالح التنظيم الجزائري، لدرجة أن زعيم التنظيم في الجزائر اختار اسم "أبو مصعب" له تيمناً بالزرقاوي.

شهدت الاستراتيجية المتبعة من طرف "القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي" تطورا نوعيا أكثر منه كميا، وذلك بالاعتماد على التفجيرات الانتحارية عن طريق السيارات المفخخة أو عن طريق الأحزمة الناسفة، وهي الاستراتيجية المتبعة في العراق بشكل خاص. (MARTINEZ, Pp 4-10)، وكانت أولى العمليات تحت مظلة القاعدة في 11 أبريل 2007، من خلال عمليات انتحارية في العاصمة الجزائرية، وهو توجه نحو المناطق الحضرية، وانتقائية في الأهداف، بعد الهجوم على قصر الحكومة ومقر للشرطة الجزائرية في باب الزوار، دون إغفال رمزية اختيار تاريخ 11 المرتبط أساسا بتنظيم "القاعدة"، و الذي تكرر في 11 ديسمبر 2007، بعد عمليتين انتحاريتين، ضد مقر المجلس الدستوري ومقر المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، بالإضافة إلى محاولة الهجوم على موكب الرئيس بوتفليقة في سبتمبر من نفس السنة، بمدينة باتنة، من طرف أعداء التنظيم (أبو المقداد)، لولا أنه اضطر إلى تفجير نفسه بحزام ناسف قبل وصول الموكب المترجل للرئيس الجزائري، بعد الاشتباه فيه. (LOUNNAS 2008, Pp 50-63).

استعملت "القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي" في خطابها الدعائي الجديد، بعض الأدبيات المستعملة من طرف التنظيم العالمي لاسيما في العراق، على غرار استعمال كلمة "الاستشهاد" بل الانتحار، بالإضافة إلى اختيار الأهداف بدقة، تجعل من العمل الإرهابي، عملية استعراضية ونوعية، من خلال استهداف المواقع الحكومية الأكثر حماية (مقر قصر الحكومة، مقر المجلس الدستوري، ثكنات للجيش، مقرات للشرطة، والممثلات الدولية)، حيث يتم من خلالها الإيقاع بأكبر عدد ممكن من الضحايا، قبل الترويج الإعلامي بالعمليات من خلال تصويرها ونشرها، منذ التحضير النفسي للانتحاريين، وبث وصاياهم و"شهاداتهم"، قبل العمليات، وهو ما حدث من خلال العمليات الدولية التي تبنتها "القاعدة"، في فنادق الرياض السعودية، والمنطقة الخضراء ببغداد وفنادق شرم الشيخ وغيرها.

ظروف متعددة ساهمت في تفعيل و دعم الاستراتيجية الجديدة التي تقوم على العمليات الإرهابية الانتحارية، أهمها مقتل مفتي الجماعة "أحمد زرايب" (أبو البراء)، في 17/01/2007، الذي حرم العمليات الانتحارية وأقرّ بعدم شرعيتها، خاصة إذا استهدفت المدنيين، لكن خلفه "زهير حراك"، المكنى "أبو حسن رشيد البليدي"، وكذا "سفيان فصيلة أبو حيدرة" أباحا العمليات الانتحارية، مما أوقف الجدل في هذا المجال، حيث دعما "شرعية" التفجيرات الانتحارية، التي نادى بها "درودكال"، الذي أسس في نفس الفترة ما يسمى

ب"كتائب الشهداء"، مبرزا من خلال احدى البيانات أن قائمة "المترشحين للاستشهاد" في تزايد مستمر.
(BOTH 2008, Pp 50-63)

ا. خاتمة

ملخص ما يمكن قوله حول التحول من الإرهاب المحلي إلى الإرهاب الدولي في المنطقة، هو عوامل داخلية وأخرى خارجية، مترابطة، بداية الصراعات الداخلية التي أدت إلى التشتت الذي عرفته التنظيمات الإرهابية خلال مرحلة التسعينات من القرن الماضي، وكذا فقدانها للدعم الشعبي المحلي، دون إغفال التراجع الذي عرفه النشاط الإرهابي بعد تضيق الخناق عليه من خلال مختلف الآليات و استراتيجيات المكافحة، مما دفع بها للبحث عن "شرعية دولية" لاستقطاب مجندين جدد في صفوفها، بعد الخسائر التي كبدتها إياها قوات الأمن والانشقاقات الداخلية، مستغلة أحداث 09/11، لإعلان انضمامها إلى "الجهاد الدولي"، والبحث عن فضاءات أخرى لنشاطها الإرهابي، وهو ما تمكنت من تحقيقه بعد فترة من دخولها الساحل الأفريقي.
(HARMON 2010, Pp 15-20).

على صعيد آخر، يمكن القول أن الظاهرة الإرهابية في الساحل الأفريقي اليوم، ما هي إلا نتيجة لديناميكيات الحركات الإسلامية السلفية الجهادية في الجزائر، التي توجهت للعمل المسلح التي عرفتها دول شمال أفريقيا، كما أن الظاهرة الإرهابية في الجزائر تمكنت من الاستمرار من خلال عمليات التفكيك وإعادة التركيب، و ما استخلصناه، من خلال مسار عدد من هذه الجماعات، التي تلجأ إلى هذه الاستراتيجية للاستمرار في النشاط، بالإضافة إلى أن انتماء "الجماعة السلفية للدعوة والقتال" إلى تنظيم "القاعدة"، أعاد إحياء النشاط الإرهابي في الجزائر والدول المجاورة، وساعد في نقله إلى فضاءات جغرافية أخرى، كما نلاحظ أن التمرکز الجغرافي للتنظيمات الإرهابية في الساحل الأفريقي اليوم، هي استراتيجية إجبارية وليست اختيارية، كانت نتيجة لتضيق الخناق على هذه التنظيمات في المناطق الشمالية، وهي البيئة الأنسب لتكاثر بعض التنظيمات الإرهابية الأخرى، بعد بسط تنظيم "القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي" نفوذه في دول الساحل الأفريقي.

استغل تنظيم "القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي"، عدد من العوامل المتتالية، كسقوط نظام القذافي في 2011، تمردات الطوارق في 2012، والتدخل العسكري في مالي عام 2013، لإحياء نشاطها الذي عرف ركودا نوعا ما، مما حول المنطقة الجنوبية للجزائر، لاسيما الحدودية منها، إلى نقطة تمركز أهم التنظيمات الإرهابية وتكاثرها.

إن استمرارية التنظيمات الإرهابية تعود إلى عدد من العوامل، أهمها العلاقات الجيدة التي ربطتها هذه التنظيمات مع السكان المحليين التي تنشط بها، من خلال احتوائهم بعدد من الوسائل، بالإضافة إلى التحالفات المبرمة فيما بينها، وكذا التعاون والتنسيق مع بعض الحركات المسلحة الأخرى غير الإرهابية (حركات انفصالية، جريمة منظمة).

إن انتقال التنظيمات الإرهابية إلى الدول الجنوبية، ونقل نشاطها لفضاءات جغرافية جديدة، أدى إلى اكتساب هذه الجماعات جملة من الخبرات القتالية والتنظيمية وخلق شبكة من العلاقات الإقليمية

والدولية، والتي ساعدت في بقاء الظاهرة واستمرارها، وإن كان خارج الجزائر اليوم، إلا أن البلاد تبقى هدفا لهذه التنظيمات، باستخدام استراتيجية "الكر والفر".

الإحالات والمراجع:

باللغة العربية

المؤلفات

صديق فوزي بن الهاشمي. محطات في تاريخ الحركة الإسلامية بالجزائر، 1968-1998. (الجزائر: دار الإنتفاضة للنشر و التوزيع، 1992).

عبد الرحمن رشدي الهواري. الإرهاب و العولمة. (الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الامنية، 2002).

كميل الطويل. الحركة الإسلامية المسلحة في الجزائر، من "الإنتفاضة" إلى "الجماعة". بيروت: دار النهار للنشر، 1998).

محمد ربيع و اسماعيل صبري. مؤسسة العلوم السياسية، ج1. (الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، جامعة الكويت، 1993، 1994).

محمد محمود أبو المعالي. القاعدة وحلفاؤها بأزواد، النشأة وأسرار التوسع. (بيروت: الدار العربية للعلوم، 2014).

محمد مقدم. الأفغان الجزائريون: من الجماعة إلى القاعدة. (الجزائر: المؤسسة الوطنية للنشر و الإشهار، 2002).

مصالح الصالح. ظاهرة الإرهاب المعاصر : طبيعتها وعواملها واتجاهاتها. (الرياض: مركز الملك فيصل: سلسلة دراسات معاصرة، 2002).

منصور لخضاري. تطور ظاهرة الإرهاب في الجزائر، من الصعيد الوطني إلى الصعيد عبر الوطني. (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2014).

نيفين عبد المنعم مسعد. جدلية الاستبعاد و المشاركة، الحركات الإسلامية و الديمقراطية. (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2001).

يحي أبو زكريا. الحركة الإسلامية في الجزائر 1978-1993. (بيروت: مؤسسة العارف للمطبوعات، 1993).

يوسف محمد الشيخ. أجنحة الإنتفاضة، قصة جبهة الإنتفاضة الجزائرية من الولادة على الإعتقال. (لبنان: مؤسسة العارف للمطبوعات، 1994).

المقالات

أحمد جلال عز الدين. "حركات التطرف الديني في المغرب العربي." أوراق الشرق الأوسط، المركز القومي لدراسات الشرق، مارس 1994-1995.

عقبة وقازي. "الإستراتيجية الجزائرية لمكافحة الإرهاب." المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، العدد (4) ديسمبر، 2015.

محمد سعيد أبو عمود. "الإسلاميون و العنف المسلح في الجزائر." مجلة السياسة الدولية، العدد 113، 1993: 118.

باللغة الأجنبية

Ouvrages

Abdelhamid BOUMERZHA .*L'islamisme algérien, de la genèse au terrorisme* .Alger: Chiheb éditions .2002

Amine TOUATI .*Algérie, les islamistes a l'assaut du pouvoir* .Paris : L'Harmattan.1995

François BURGAT .*L'islamisme à l'heure d'Al-Qaida* .Paris: La Découverte.2006

Gweendal DURAND .*L'organisation d'Al-Qaida au Maghreb Isalmique: réalité ou manipulation* ؟Paris: L'Harmattan.2011

Jacques BAUD .*encyclopédie des terrorimes et violences organisées* .Panazol, France: Lavauzelle.2009

Liess BOUKRA .*AlgérieM la terreur sacrée* .Lausanne, suisse: Favre.2002

M. Wiewiorka .*Sociétés et terrorisme* .Paris: Fayard, 1988

Mathieu GUIDERE .*Al-Qaida à la conquête du Maghreb; le terrorisme aux portes de l'Europe* .Paris: Rocher.2007 ،

Matieu GUIDERE .*La tentation intenationale d'Al-Qaida* .Focus Stratégique ،Paris: IFRI.2008 ،

Mustapha Al-AHNAF et autres .*L'Algérie par ces islamistes* .Paris: Kathala.1991 ،

Périodiques

Abderrahim LAMCHICHI” .De l'escalade de la violence à l'amorce d'un dialogue politique ”.*Confluences*, N°13. ،Hiver, 1994-1995.

Anneli BOTHA. ” Terrorism in Maghren, the Transnationalisation of Domestic Terrorism ”.*ISS Monography Series*, N°144, june, 2008.

Clémence PERNIN ET Houari SAYAD. ”Le Sahel : terrain de jeu d'Al-Qaïda au Maghreb Islamique (AQMI) ”.*(Les cahiers d'outre-Mer*, N° 255, .2011 ،

Djallil LOUNNAS” .AQMI, filiale d'Al-Qaïda ou organisation algérienne ”. ؟ *MAGHREB-MACHREK*, N° 208 été.2008 ،

Farid BENCHEIKH” .Comprendre pour combattre: salafisme armé ،les fondamentaux. l'apport de la criminologie à la compréhension du fondamentalisme salafiste ”.*sécurité globale*, N° 7 2016.

Henry WILKINSON .*Reversal of Fortune AQIM 's Stalemate in Algeria and its new front in the Sahel* . Development challenges ،OCDE Publishing.2012 ،

Jean Pierre FILUI” .Définir Al-qaida ”.*critiique internationale*, N°47, février 2012.

Jean-Luc MARRET” .al-Qaida in Islamic Maghreb/ A Global Organisation ”. ،*Studies in conflict and terrorism*, Vol 31, N° 6 ،juin, 2008.

Luis MARTINEZ” Le cheminement singulier de la violence islamiste en Algérie ”.*crétique internationale* ،Mars, 2003.

Luis MARTINEZ” .Terrorisme et guerre civile ”.*Confluences*، N° 20, Hiver1996 ..1997-

Luis MARTINEZ .*Al-Qaida au Maghreb Islamique* .Analyse, N°00, Paris: Institut d'études de Sécurité .2007

Mathieu GUIDERE” .Une filiale algérienne pour Al-Qaida ”.*le monde diplomatique*,N° 632, novembre 2006.

Stephen HARMON” .From GSPC to AQIM: The evolution of an Algerian islamist terrorist group into an Al-Qa'ida Affiliate and its implications for the Sahara-Sahel region ”.*Concerned Africa Scholars*, N°85, Spring, 2010.

Sites internet

www.assakina.com .2016 ،03 15 .<http://www.assakina.com/center/parties/18183.htm> ،12 25 (تاريخ الوصول 2019).

،12 27 (تاريخ الوصول 2019) <http://www.globalterrorwatch.ch/?p=4155> .avril, 2016 26 .www.globalterrorwatch.ch .(2019)